حكم الأسرة القرمانلية في ولاية طرابلس الغرب (١٧١١- ١٨٣٥م)

م. د. وليد خالد يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

خضعت الأراضي الليبية لحكم الدولة العثمانية في ١٦ آب ١٥٥١م وأطلقت عليها تسمية (ولاية طرابلس الغرب) لتمييزها عن مدينة طرابلس في بلاد الشام والتي شملت أقاليم ليبيا الثلاث (طرابلس وبرقة وفزان)([1])، ومر ذلك الحكم بثلاث مراحل هي: الحكم العثماني المباشر الأول (١٥٥١- ١٧١١م) وحكم الأسرة القرمانلية الشبه مستقل (١٧١١- ١٨٣٥م) والحكم العثماني المباشر الثاني (١٨٣٥ -١٩١١م) .

كانت ولاية طرابلس الغرب تعاني من قلة الموارد الاقتصادية والزراعية إذ تشكل الصحراء ٩٥% من مساحتها مما كان يدفع بسكانها للهجرة إلى الدول المجاورة بخاصة في سنوات القحط التي كان يرافقها انتشار الأوبئة الفتاكة مما أثر على معدلات النمو السكاني فيها، لذلك فان أعداد سكانها كانت قليلة واستوطن غالبيتهم في المدن القريبة من الأراضي الصالحة للزراعة المحاذية لساحل البحر الأبيض المتوسط، ومن أكبر تلك المدن هي طرابلس التي تميزت بمينائها الأكثر أهمية عن بقية الموانئ الليبية الذي منحها مركزاً اقتصادياً وسياسياً هاماً عبر التاريخ،أما في الجنوب فقد أقام سكان القبائل العربية والبربر قرب الواحات الصحراوية الممتدة على طول طرق التجارة التي كانت تربط الأقاليم مع بعضها ومع الدول المحيطة بها، وبسبب سوء الأوضاع الاقتصادية لجأ البعض من أبناء ليبيا إلى غزو السفن التجارية الأوروبية وقوافل التجارة الصحراوية وعدوها مهنة رابحة كانت تعود عليهم بأموال لا بأس بها .

لم يتمكن ولاة الحكم العثماني الأول من فهم طبيعة سكان ولاية طرابلس الغرب كونهم كانوا أغراب عنهم وعن ثقافتهم وغير مقدرين لظروف معيشتهم الصعبة فكانوا يفرضون عليهم الضرائب العالية والمتنوعة ويصادرون أملاكهم مما كان يدفع بالسكان للتمرد على الولاة وحكام الأقاليم والمدن لمرات عدة وكان ذلك واحداً من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف سيطرتهم على سكان الولاية مما أدى بالنتيجة إلى ضعف سيطرة الدولة العثمانية عليها وهي الولاية البعيدة عنها والهامة إذ كانت الدول الأوروبية تنافسها للسيطرة عليها، إلا أن أوضاع الولاية الاقتصادية والعسكرية شهدت تطوراً ملحوظاً في عهد الأسرة القرمانلية التي كانت على تماس مباشر بالسكان وتمكنوا من استثمار طاقاتهم لتعزيز قوة الولاية وقوة الدولة العثمانية في شمال إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط، إذ سجلت الولاية خلال ذلك العهد تاريخاً حافلاً بالأحداث الهامة والذي سنلقي عليه الضوء في بحثنا هذا لمعرفة بعض التفاصيل عنه.

سياسة الأسرة القرمانلية في حكم ولاية طرابلس الغرب (١٧١١- ١٨٣٥م) :

منذ العقد الثاني للقرن الثامن عشر شهدت ولاية طرابلس الغرب مرحلة جديدة من مراحل تأريخها الحديث بعد أن تم إنهاء الحكم العثماني المباشر عليها على أثر اختيار أعضاء ديوان الولاية ورؤساء الجند والأعيان لأحد ضباط الإنكشارية([٢]) وهو أحمد يوسف القرمانلي (١٧١١-١٧٤٥م)([٣]) واليا عليها في ٢٨ تموز ١٧١١ م بعد سلسلة من الاضطرابات السياسية والفتن الداخلية التي عانت منها البلاد ([٤])، وكانت الدولة العثمانية غير راضية عن ذلك التنصيب الذي حدث خارج إرادة السلطان وقررت عزله بالقوة إلا أنها فشلت واضطرت إلى غض النظر عن تنفيذ قرارها بعد أن رأت التأييد الذي كان يحظى به أحمد القرمانلي من قبل الجند والسكان وبعد أن نجح في التقرب من السلطان أحمد خان الثالث(١٦٧٣-١٧٣٦م) ([٥]) عبر الهدايا والرسائل التي أكد فيها ولائه له فأصدر السلطان فرمان أقر بولايته على طرابلس الغرب ومنحه لقب (بكلربكي) ([٦]) الذي خوله حكم الولاية وقيادة الجيش دون الرجوع للدولة العثمانية أي بمعنى منح الولاية حكماً ذاتياً وجعل حكمها وراثيا في أسرته([٧]).

تميز الوالي أحمد باشا القرمانلي عن بقية الولاة العثمانيين الذين كانوا يرسلون من الأستانة انه كان من مواليد طرابلس هو ووالده لذلك كانت لديه خلفية عن ظروف الولاية السياسية والاقتصادية والاجتماعية،إذ كان القرمانليين حالهم حال بقية الإنكشارية يجمعون ما بين أصولهم التركية التي قربتهم من السلاطين العثمانيين وما بين اندماجهم بالعرب والبربر من خلال المصاهرة مع الأسر العربية والبربرية مما سهل عليهم فهم مشاعر السكان وكيفية التعايش معهم (٨)،ولعل ذلك كان أحد الأسباب التي أقنعت السلطان أحمد خان الثالث بالموافقة على تولي أحمد باشا القرمانلي لولاية طرابلس الغرب .

ولأجل إحكام السيطرة على الولاية اعتمد الوالي أحمد باشا القرمانلي على أسلوب السيطرة المركزية في الحكم والإدارة بما يمكنه من مسك زمام أمور الولاية بيده(٩)،و ركز في سيطرته على المراكز الحضرية فقام بتقسيم تلك المناطق إلى إقليم شرقي وهو إقليم برقة ومركزه مدينة بنغازي، وإقليم غربي وهو إقليم طرابلس ومركزه مدينة طرابلس وإقليم جنوبي وهو إقليم فزان ومركزه مدينة فزان (١٠)، وقسم الإقليمين طرابلس وبرقة إلى وحدات إدارية أوكل مهام إدارتها إلى أقربائه والموالين له، أما إقليم فزان فترك حكمه للزعماء وشيوخ القبائل الموالين له(١١).

أعتمد الوالي أحمد باشا القرمنلي على نظام إداري صارم يبدأ بمنصب الوالي الذي يليه منصب (الكيخيا الكبير)(١٢) وهو بمثابة مستشار ونائب للوالي، ومنصب (الكيخيا الصغير) الذي يتولى قيادة الحرس الخاص المسؤول عن تنفيذ جميع الأحكام العامة داخل القلعة التي ضمت مراكز الحكم وسكن الوالي وحاشيته ويتولى كذلك تربية ولي العهد، ومنصب (الخازندار الأكبر) الذي كانت مهمته الأشراف على الأموال العامة وخدم القلعة ومراسلات الوالي ومنصب(الخازندار الأصغر) وكان مسؤول عن خزانة الباشا الخاصة (١٣)،أما شؤون المواطنين في العاصمة فكان يشرف عليها (شيخ طرابلس) يساعده قاضيان للنظر في الأمور الاجتماعية للناس الأول تعينه الأستانة ليحكم وفق مذهب الإمام أبي حنيفة والثاني يعينه الوالي ليحكم وفق مذهب الإمام مالك،أما الإشراف على الشؤون الدينية في الولاية فكان من نصيب المفتي الأكبر ورئيس الدراويش، وكان يدير جميع الأعمال الإدارية في القلعة أربعة أو

خمسة كتاب ([١٤])،وهناك أيضاً مجلس الديوان الذي ضم جميع الموفدين إلى سفارات في أوروبا وقادة الجيش،وكانت تتركز مهمة الديوان في مناقشة الأمور المهمة كفرض الضرائب وإبرام الاتفاقيات مع الدول ([١٥]) .

منذ بداية حكمه اتبع الوالي أحمد باشا القرمانلي سياسة داخلية اهتمت بالسيطرة على اقتصاديات الولاية التي كانت ترتكز على الزراعة بالدرجة الأولى بخاصة في المناطق التي اشتهرت بغزارة إنتاجها وجودة أنواعها، فضلاً عن اهتمامه بطرق التجارة ومنافذها البحرية والبرية التي كانت تربط الولاية بدول أوروبا من جهة وبدواخل أفريقيا والدول العربية من جهة أخرى ([١٦])، ووضع سياسة ثابتة سار عليها بقية الولاة القرمانليين تمثلت بتشجيع ليس الزراعة والتجارة فحسب بل شمل تشجيع إحياء الصناعات الحرفية الشعبية ودعوة الأجانب للإقامة بطرابلس من اجل إعطاء الولاية زخماً اقتصادياً دولياً ([١٧])، مما أسهم في تنوع مصادر دخل الولاية وبالتالي كان سبباً مهماً في استمرار حكم العائلة القرمانلية،إذ لم تقتصر إيرادات الولاية في عهده على الضرائب والرسوم بل كان لصادراتها الزراعية والحيوانية دور كبير في تحسن الميزان التجاري للولاية التي امتدت تجارتها وشملت الدولة العثمانية ومصر وتونس والجزائر ومراكش والبلاد الوقعة جنوب الولاية في إفريقيا مثل كاشنا وتمبكتو ودارفور ([١٨]) وعمل على تأمين الطرق الصحراوية التي كانت تربط الولاية بعدد من دول إفريقيا بخاصة طريق طرابلس–كوكة عاصمة سلطنة برنو الذي كان يبلغ طوله قرابة ألف وستمائة كيلو متر وكانت تستغرق الرحلة فيه ذهاباً وإياباً ستة أشهر،وطريق بنغازي – واداي في عمق أواسط إفريقيا والبالغ طوله قرابة ألفي كيلو متر([١٩]) ،وطريق طرابلس–تمبكتو عبر الأراضي الجزائرية وكانت تستغرق زهاء الثلاثة أشهر ([٢٠])، كما كان للولاية علاقات تجارية مع عدد من دول أوروبا منها مالطا وفرنسا ونابولي والبندقية والدانمارك والسويد وانكلترا التي ارتبطت بها بعدد من المعاهدات، إذ كانت تصدر إليها الحبوب والزيت والتمر ونبات الحلفاء والزعفران والصوف والملح والنحاس والأغنام والخيول، وتستورد منها الحمص والفول والقهوة والمنسوجات والعطور والزجاج والأخشاب والأسلحة والحبال والأشرعة([٢١]).

بناء القوة العسكرية لولاية طرابلس الغرب :

كان الوالي احمد باشا القرمانلي يعتقد بأن شخصية الوالي القوية غير كافية لوحدها لحكم الولاية إذ لا بد من وجود القوة العسكرية اللازمة لتحقيق أهدافه وسياساته ([٢٢])، لذلك اهتم بناء قوة الولاية العسكرية ليحقق لها مكانة سياسية هامة على الصعيد الدولي، فقام بزيادة أعداد الجيش النظامي بالاعتماد على الانكشارية ومن (القول أوغلية) ([٢٣]) وممن كانت أصولهم تركية ومن ولايات الدولة العثمانية الغير عربية ومن المرتزقة الأجانب، ونجح في تكوين جيش نظامي ضم فرق عدة تم تصنيفها بحسب المهام الموكلة لها وبحسب تسليحها فكانت هناك فرق الحرس والمدفعية والفرسان والمشاة ([٢٤])،كما اهتم ببناء بالجيش الغير نظامي الذي كان يتكون من أبناء القبائل العربية المحلية الذين كانوا يمثلون قوة دعم رديفة لجيش الولاية مكن الوالي من فرض الأمن على الولاية ([٢٥])، كما اهتم ببناء بالقوة البحرية وأولاها اهتمام خاص إذ عمل جاهداً على شراء السفن الكبيرة من بعض الدول الأوروبية وصنع الطرادات الصغيرة داخل الولاية وتمكن بواسطتها من مد نفوذ الولاية في البحر الأبيض المتوسط وفرض سيطرته على حركة السفن التجارية الأجنبية فيه مما دفع بعدد من الدول الأوروبية من بينها النمسا و فرنسا والدانمرك وانكلترا لعقد معاهدات الحماية والتجارة مع ولاية طرابلس الغرب كانت تقوم بموجبها السفن الطرابلسية بحماية سفن تلك الدول في عرض البحر مقابل إتاوات سنوية تدفع إلى الولاية ([٢٦])، وشهدت فترة حكم القرمانليين بشكل عام نشاطاً بارزاً في استيراد الأسلحة بخاصة الثقيلة منها والمتطورة في مقدمتها المدافع بمختلف الأعيرة كما شهدت الولاية كذلك نشاطاً أوسع في صناعة الأسلحة الخفيفة مثل البنادق والمسدسات والسيوف والخناجر([٢٧]) .

على أثر تنازل أحمد باشا القرمانلي عن الحكم عام ١٧٤٥م والذي دام قرابة أربعة وثلاثين عام بعد إصابته بالعمى استلم ولده محمد باشا القرمانلي (١٧٤٥– ١٧٥٤م) ([٢٨]) أمور الولاية وعمل على إتباع سياسة والده وأبدى اهتماماً خاصاً بعلاقات الولاية مع الدول الأوروبية المتنفذة، فجدد الاتفاقيات التي كانت مبرمة بينها وبين تلك الدول في عهد والده

فوقع على اتفاقية حماية وتجارة مع النمسا عام ١٧٤٩م، ومع الدانمرك ومع انكلترا عام ١٧٥١م،ومع فرنسا عام ١٧٥٢م وكانت تلك الاتفاقيات تتم دون الرجوع إلى الباب العالي لأخذ الموافقة عليها، أما الدول التي ليس للولاية اتفاقيات معها فكانت سفنها عرضة للأسر أو السلب من قبل الأسطول الطرابلسي (٢٩)، ومنذ ذلك الوقت تمتعت ولاية طرابلس الغرب بسمعة بحرية قوية بسبب جرأة بحارة أسطولها ودعم الدولة العثمانية لها التي كانت قوتها تعد من قوة الدولة العثمانية نفسها(٣٠).

تراجع قوة ولاية طرابلس الغرب العسكرية :

إن القوة والمكانة التي احتلتها ولاية طرابلس الغرب لم تستمر طويلا ففي عهد الوالي علي باشا القرمانلي (١٧٥٤ – ١٧٩٣م) شهدت الولاية حالات من الفوضى والاضطرابات أدت إلى ضعف قدراتها الاقتصادية والعسكرية (٣١)، بخاصة بعد القحط الشديد الذي أصاب الولاية عام ١٧٦٧م مما دفع بالأهالي للهجرة إلى مصر وتونس وانتشرت الأوبئة بين الباقين من السكان، وأدى تردي الأوضاع الداخلية إلى إشعال نار الحروب والفتن بين القبائل القاطنة في القسم الشمالي المحاذي للبحر فأمر الوالي بتجهيز حملة عسكرية لإعادة النظام والأمن إليها نتج عنها هجرة أعداد كبيرة من أفراد تلك القبائل إلى تونس (٣٢)، كما ساهم الصراع الدموي بين أبناء الوالي في السنوات الأخيرة من حكمه في تصدع قوة الولاية وانقسام سكان الولاية ما بين الاستسلام للخوف الذي نشره ابن الوالي (يوسف بك) بعد إعلانه الثورة على أبيه في ٢٣ تموز ١٧٧٠م وسيطرته على مدينة طرابلس أثناء غياب والده عنها وما بين الخوف من أنصار الوالي القادمين من جبل فزان للدفاع عن المدينة (٣٣)، ولم تخمد نار الفتنة بين الجانبين ألا بعد أن توجه الريس علي الجزائرلي (٣٤) من ميناء الجزائر إلى طرابلس على رأس عدد من المراكب المليئة بالمرتزقة الذين اشتراهم حاملا فرمانا سلطانياً مزوراً يقضي بتعيينه واليا على ولاية طرابلس الغرب، ولما وجد الوالي علي باشا أن موقفه ضعيف إزاء قوة علي الجزائرلي انسحب من طرابلس وتوجه نحو تونس لطلب المساعدة من الباي (٣٥) الذي أرسل معه جيشا ليحكم حصار مدينة طرابلس بمعونة أنصار عائلة القرمانلي مما إضطر علي

الجزائرلي لمغادرتها، واستجاب السلطان سليم الثالث (١٧٦٢– ١٨٠٨م)([٣٦]) لطلب أحمد بك ابن علي باشا لتعيينه واليا على طرابلس الغرب عام ١٧٩٥م ،وبعد اقل من عام على حكمه أصطدم بنوازع شقيقه يوسف بك للسيطرة على الحكم بالقوة العسكرية بالتحالف مع الزعامات القبلية والاجتماعية في الولاية الذين ضغطوا على باي تونس لدعم مطلبه فضلاً عن دعم صديقه السفير الفرنسي في القسطنطينية لتحقيق مبتغاه ([٣٧])،وأصدر السلطان سليم الثالث فرمان بتعيين يوسف بك واليا على ولاية طرابلس الغرب عام ١٧٩٥م لما وجده فيه من قدرة قتالية وحنكة سياسية وقوة شخصية ومنحه لقب الباشاوية وحكم زهاء سبعة وثلاثين عام أي لغاية عام ١٨٣٢م([٣٨]).

إعادة بناء القوة العسكرية لولاية طرابلس الغرب :

لقي يوسف باشا القرمانلي دعما عسكريا قويا من الدولة العثمانية كي يتمكن من توسيع نفوذ الدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط بعد الأحداث والحروب التي خاضتها ضد النمسا وروسيا التي افضت إلى إبرام السلطان سليم الثالث لمعاهدة صلح مع الدولتين في ٩ شباط ١٧٨٨م وتم بموجبها إرجاع الأراضي التي احتلتها الدولتان في البلقان، وقام السلطان على إثرها بإصلاح الأوضاع العسكرية البرية والبحرية للإمبراطورية واهتم بثغورها التي كانت ولاية طرابلس الغرب واحدة منها لمواجهة المشاكل والحروب التي شهدتها أوروبا في أعقاب قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م والتي انعكست على الدولة العثمانية بجميع ولاياتها([٣٩]) فتم تجهيز ولاية طرابلس الغرب بثمانية وعشرين مدفع جديد لتحسين قوتها الدفاعية وطلب إلى الوالي تحسين القلاع وإعادة النظام وتحسين أحوال الولاية التي توسعت وأصبحت أيالة في عهده بعد أن امتد نفوذه المباشر ليشمل إقليم فزان، وطلب إليه كذلك الإكثار من الغزوات البحرية ضد السفن التي ليس لدولها اتفاقيات مع الدولة العثمانية أو مع الأيالة ([٤٠])،لذلك أرسلت له عام ١٧٩٧م سفينتين حربيتين كبيرتين كانت الأولى مجهزة بأربعة وعشرين مدفع والثانية بستة وثلاثين مدفع وقطعا من قماش القنب لصناعة الأشرعة للسفن وتجهيزات أخرى لأجراء التحديثات على بقية السفن التي وصل عددها لذلك العام إلى

أحد عشرة سفينة حربية وأعداد غير محددة من الطرادات الصغيرة مما زاد في اتساع نشاطاته البحرية ([٤١])، الأمر الذي دفع بالدول الأوروبية لإعادة حساباتها في التعامل مع أيالة طرابلس الغرب، وتواصل دعم الدولة العثمانية للأسطول الطرابلسي من خلال تجهيزه بالسفن الجديدة إذ أرتفع عدد سفن الأسطول عام ١٨٠٣م إلى ثلاثة عشر سفينة ووصل عددها عام ١٨٠٥م إلى أربعة وعشرين سفينة فضلاً عن عدد من الزوارق الصغيرة المسلحة ([٤٢])، وبدا يوسف باشا في فترة حكمه وكأنه يعيد أمجاد جده أحمد باشا وأصبحت طرابلس الغرب في عهده أقوى أيالات الشمال الإفريقي على الإطلاق وكان من السهل عليه مواجهة الأحداث العسكرية الداخلية والخارجية([٤٣]) والتي كان من أبرزها الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية التي دامت لقرابة خمسة أعوام.

الحرب الطرابلسية الأمريكية (١٨٠١– ١٨٠٥ م) :

كانت علاقات الوالي يوسف باشا القرمنلي وطيدة مع فرنسا إذ اتسمت بالود والصداقة المتينة لدرجة أن الجنرال نابليون بونابرت (*١٧٦٩–١٨٢١م*)([٤٤]) عندما قاد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م فإنه أجرى اتصالاته مع الوالي لكسب دعمه بهدف تحجيم نفوذ بريطانيا في المنطقة لقرب أيالة طرابلس من مصر فأمر الوالي بفتح موانئها وأراضيها أمام القوات الفرنسية مما أثار بريطانيا التي سارعت للضغط على الباب العالي لإجباره على عدم مساعدة فرنسا، كما أنها أرسلت أسطولها الحربي قبالة ميناء طرابلس وهددت بقصف المدينة عام ١٧٩٩م إلا أن ذلك لم يثني الوالي يوسف باشا عن علاقته مع فرنسا فعقد معاهدة صداقة وتعاون معها عام ١٨٠٠م اشتملت على ثلاث وخمسين مادة تناولت جميع أوجه التعاون العسكري والاقتصادي لتتعزز بعدها مكانة أيالة طرابلس الغرب وأهميتها على صعيد حوض البحر الأبيض المتوسط الذي شهد صراعاً دولياً ([٤٥]) .

وخلال تلك الفترة من الصراع الدولي في البحر الأبيض المتوسط كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لأن تكون لها مكانة متميزة وهي في بدايات ظهورها على مسرح الأحداث السياسية العالمية كي تسهل لها عملياتها التجارية مع دول العالم، إلا أن سفنها

كانت تواجه عدد من المخاطر في مقدمتها القرصنة البحرية التي كانت منتشرة في جميع البحار من بينها البحر الأبيض المتوسط الذي شهد نفوذا واسعا للقراصنة المنطلقين من ولايات شمال إفريقيا مما اضطرها إلى عقد معاهدة تجارة وحماية مع حاكم مراكش عام ١٧٨٦م ،ومعاهدة حماية مع داي الجزائر عام ١٧٩٥م، وأخرى مع باي تونس عام ١٧٩٧م، وعقدت معاهدة مع والي طرابلس الغرب عام ١٧٩٦م لكن دون إتاوات سنوية ([٤٦]) .

بعد مضي قرابة أربع سنوات على عقد المعاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية قرر الوالي يوسف باشا عدم الالتزام بها بعدما تعززت قدرات الأيالة البحرية مع بدايات القرن التاسع عشر، فضلاً عن تأكيدات الباب العالي بفرض الإتاوات على جميع السفن بدون استثناء، وكانت القنصلية الأمريكية ترفض دفعها متذرعة بالمعاهدة الموقعة بين بلادها والأيالة مما دفع بهولندا وفرنسا والجزائر للتدخل لحل المشكلة لكن بدون جدوى، بل أن الموقف تأزم أكثر بين الجانبين وقرر الوالي اهانة الأمريكيين في رمز شرفهم الوطني عندما أمر جنوده في ١٤ أيار ١٨٠١م بأن يحطموا سارية العلم الأمريكي القائمة أمام القنصلية الأمريكية في طرابلس كإشارة إلى إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية([٤٧]).

ردت الولايات المتحدة الأمريكية على موقف الوالي بسحب قنصلها من الأيالة([٤٨]) وأعلنت الحرب على أيالة طرابلس الغرب وأمرت سفنها البحرية للتعرض للسفن الطرابلسية، فقامت سفن أسطول الأمريكي بأسر أكبر السفن الحربية الطرابلسية وهي تحمل اسم (مشهودة) في ٢ تموز ١٨٠١م وكانت بإمرة الريس مراد قائد البحرية الطرابلسية وعليها ثمانية وعشرين مدفع ومائتان وستة وأربعين رجل وأسرت كذلك سفينة أخرى مرافقة لها عليها أربعة عشر مدفع وذلك عندما كانتا راسيتين في ميناء جبل طارق الاسباني ([٤٩])، وفي أواخر العام نفسه تم أسر سفينة حربية طرابلسية أخرى بعد إبحارها من أحد الموانئ الأسبانية ([٥٠])، الأمر الذي دفع بالوالي يوسف باشا لإعطاء الأوامر إلى أسطوله الحربي للتعرض للسفن الأمريكية لتنطلق بذلك حرب المناوشات البحرية بين أسطولي الجانبين، وبعد فشل مساعي الحكومة الأمريكية للتفاوض مع يوسف باشا في منتصف شهر تموز ١٨٠١م بدأ حصار ميناء طرابلس في ٢٤ تموز من قبل السفن الأمريكية التي منعت خروج ودخول السفن الطرابلسية، وفي ٣٠

تموز١٨٠١م تمكن الأسطول الأمريكي من أسر إحدى سفن الأسطول الطرابلسي قرب سواحل صقلية التي كانت تسمى (طرابلس) وتم تجريدها من كافة أسلحتها ومعداتها وصواريها وإرسالها إلى ميناء طرابلس بهيئة الإذلال لكسر معنويات الطرابلسيين وكان وقع ذلك كبير على الوالي الذي أمر بمعاقبة قبطان السفينة أشد عقاب تمثل بعرضه على سكان طرابلس بهيئة مخزية من خلال الطواف به على حمار ركبه بالمقلوب ومن ثم جلده خمسمائة جلدة ([٥١])،وفي الخامس عشر من شهر أب للعام نفسه استولت إحدى السفن الطرابلسية على السفينة الأمريكية (فرانكلين) بعد معركة بحرية عنيفة بالقرب من ميناء قرطاج بتونس ثم اقتادوها إلى الجزائر هي والمتبقي من طاقمها الأحياء وكان عددهم تسعة رجال جرى نقلهم لاحقا إلى طرابلس براً مما أعطى الوالي دفعة قوية في مفاوضاته مع الولايات المتحدة الأمريكية لاحقاً([٥٢]).

في بادئ الأمر كان الحصار البحري الذي فرضته السفن الأمريكية على ميناء طرابلس قد نجح نوعاً ما في الحد من نشاط السفن الطرابلسية ولكن ليس بدرجة فعالة إذ كان ذلك الحصار طيلة عام ١٨٠١م شكلياً، ولأجل إنجاح غايته تم تعزيز قوة الأسطول الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط في ١٢ كانون الثاني ١٨٠٢م فعوضاً عن أربع سفن كانت تقوم بتلك المهمة هي: الفرقاطات (فيلادلفيا واسكس وانتربرايز و فرانكلين، التي أسرت عام ١٨٠١م)، تم إرسال أهم فرقاطة في الأسطول الأمريكي وهي (كونستيليشن) برفقتها أربع سفن حربية هي: (شيزابيك وأدامز ونيويورك وجون أدامز)([٥٣]) .

كان أثر الحصار البحري الأمريكي واضحا بداية عام ١٨٠٢م على القوة البحرية الطرابلسية بعد قدوم تلك الفرقاطات لكن منذ منتصف العام لجأ الريس مراد وبحارته ،بعد تمكنهم من الهرب من ميناء جبل طارق، إلى استخدام الطرادات الصغيرة للتسلل من والى الميناء في جنح الظلام لتهريب البضائع ولضرب السفن الأمريكية مما أبطل مفعول الحصار نوعاً ما بخاصة عندما تكون غالبية السفن خارج المياه الإقليمية الطرابلسية إما لأغراض التزود بالمياه والمؤن من أحد موانئ الدول الأوروبية القريبة أو لأغراض التنقلات ما بين سفن الأسطول في أماكن أخرى ([٥٤])، ورغم عدد سفن الأسطول الأمريكي المحاصرة لأيالة طرابلس

إلا أن الحظ حالف البحرية الطرابلسية للاستيلاء على الفرقاطة الأمريكية (فيلادلفيا) وهي من القطع البحرية الكبيرة في زمانها وكانت تحمل ثلاثة وأربعين مدفعا وعلى متنها ثلاثمائة وسبعين ضابط وبحار والتي أوكل إليها قصف ميناء ومدينة طرابلس في يوم ٢ تشرين الثاني ١٨٠٣إلا أنها لم تتمكن من تحقيق تلك المهمة بسبب دخولها منطقة صخرية على مقربة من الميناء أثناء هبوب الرياح الشديدة مما أدى إلى انقلابها ولم يتمكن بحارتها من فعل شيء فهجم عليهم رجال البحرية الطرابلسية وتمكنوا من السيطرة على الفرقاطة وتمكنوا من أعادة تعويمها وأسر جميع من كان عليها ثم قطروها بمراكبهم إلى ميناء طرابلس ([٥٥]).

كان أسر واحدة من اكبر سفن الأسطول الأمريكي من قبل الطرابلسيين ذا وقع كبير على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وشعبها، فهي فضلاً عن كونها كانت خسارة عسكرية فادحة فإنها عدّت خسارة سياسية أليمة جاءت على يد أسطول أيالة صغيرة مثل طرابلس الغرب وليس من قبل أسطول أحدى الدول الكبرى مثل فرنسا التي عجز أسطولها عن مجارات الأسطول الأمريكي الذي خسرت أمامه العديد من السفن الحربية الكبيرة، لذلك فأن النصر الذي حققته الأيالة منح واليها زخما أكثر قوة ليفرض املائاته وشروطه على الجانب الأمريكي إذ أصر على أن تقدم الولايات المتحدة الأمريكية سفينة جديدة للولاية مقابل الإفراج عن الفرقاطة فيلادلفيا ودفع فدية مقدارها خمسمائة دولار عن كل أسير وبما أن ما كان لدى الأيالة من أسرى يفوق عدد الأسرى الطرابلسيين وبحساب الفرق بينهما فأن إجمالي المبلغ الذي كان يطالب به الوالي هو مائة وعشرين ألف دولار إلا أن الولايات المتحدة رفضت تلك الشروط وكانت تفضل إحراق الفرقاطة على يد جنودها كي لا ترضخ لشروط الوالي وتخسر سمعتها الدولية من جهة ولتضعف موقفه التفاوضي من جهة أخرى ([٥٦]).

وتحسبا لأي طارئ من قبيل إقدام الأسطول الأمريكي على إنقاذ الأسرى الأمريكان بالقوة العسكرية فأن الوالي يوسف باشا أمر بتقوية أسوار المدينة والميناء بأشراف مباشر من قبله ([٥٧]) بعد أن وصلته التعزيزات من الأستانة ([٥٨])، وإزاء تلك الإجراءات فأن الأسطول الأمريكي كان عاجز عن تخليص الفرقاطة فيلادلفيا لذلك قررت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إحراقها وهي راسية في ميناء طرابلس حفاظا على سمعتها العسكرية،ووضع قائد

الأسطول الأمريكي المحاصر لميناء طرابلس خطة لتنفيذ القرار وتم تكليف اثنان من ضباط البحرية الأمريكية ومعهما أربعة وثمانين بحار، وقضت الخطة باستخدام سفينتين تجاريتين ترفعان العلم البريطاني وعند اقترابها من الساحل عصر يوم ١٦شباط ١٨٠٤ م رست إحداها أما الثانية فأكملت تقدمها ومرت من أمام أسوار قلعة الوالي وكان على سطحها عدد من الرجال وهم يرتدون ملابس مالطية لأغراض التمويه ولم يفطن إليها أحد من رجال البحرية الطرابلسية ورست قبالة الميناء ومع حلول الليل الذي كان فيه القمر هلالاً وفي الساعة الثامنة والنصف نزل عدد من الزوارق الصغيرة من السفينتين ونجحوا بالتسلل خفية والصعود إلى سطح الفرقاطة فيلادلفيا من عدة أماكن واستخدموا السيوف في قتالهم مع الحراس الطرابلسيين المكلفين بحراستها وتمكنوا من السيطرة على السفينة سريعاً ومن ثم أضرموا النار فيها ([٥٩]) ثم لاذوا بالهرب تحت جنح الظلام ولم ينتبه لهم الحرس الطرابلسي على اليابسة إلا بعد رؤيتهم للنيران وهي تلتهم السفينة وعجزوا عن اللحاق بمنفذي العملية ([٦٠]) .

منذ أواخر شهر آذار ولغاية شهر حزيران ١٨٠٤م دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في مفاوضات مع والي طرابلس يوسف باشا لإطلاق سراح أسراها برعاية فرنسا إلا أنها فشلت بسبب تمسك الوالي بموقفه المتمثل بإلزام الولايات المتحدة الأمريكية على دفع الفدية التي طالب بها والمتعارف عليها دوليا وهي خمسمائة دولار لقاء كل أسير أمريكي ([٦١])،ونتيجة لذلك قررت الولايا المتحدة الأمريكية أن تفرض وجودها بقوة السلاح وأمرت بإرسال حملة بحرية إلى طرابلس التي ما أن وصلتها سفنها في ٣ أب ١٨٠٤م حتى باشرت بقصفها بالمدفعية التي استهدفت مدينة طرابلس ومينائها والحصن الذي يوجد فيه الوالي وتواصل القصف لأيام عدة وكان يواجه بقصف مدفعي مقابل ومؤثر ينطلق من المدفعية الموزعة على أسوار قلعة المدينة، وكان قائد الأسطول الأمريكي يطلب من الوالي يومياً بعد الانتهاء من عمليات القصف الاستسلام لمطالبه إلا أنه كان يواجه برفض متواصل من قبل الوالي الذي لم يتزحزح عن موقفه، مما دفع بالولايات المتحدة الأمريكية للتفكير بخطة بديلة تحول دون أن تقدم أية تنازلات ([٦٢]).

وجدت الولايات المتحدة الأمريكية في حالة القطيعة التي كانت قائمة بين الوالي يوسف باشا وشقيقه أحمد بك الذي كان ينافسه على منصب الولاية خير فرصة لتنفيذ هدفها، وكان أحمد بك يقيم في مصر منذ إبعاده عن الولاية منذ عام ١٧٩٥م،وتم تكليف أحد ضبط الأسطول الأمريكي وهو الملازم(وليام إيتون) للاتصال به وعقد اتفاق سري معه يقوم على إعلان أحمد بك ثورته ضد شقيقه وتقوم الولايات المتحدة الأمريكية من جانبها بدعمه عسكريا وماديا على أن يتولى صاحب الفكرة الملازم إيتون تنفيذ الخطة بكاملها.

في يوم ٢٦تشرين الثاني١٨٠٤م وصل الملازم إيتون إلى الإسكندرية على متن إحدى السفن الأمريكية وبعد ٧٠ يوماً مثقلة بالمفاوضات والرحلات الصحراوية المضنية نجح في لقاء أحمد القرمانلي سراً في أحد بيوت مدينة دمنهور التي كان يتواجد فيها الانكشارية الناقمين على والي مصر، وفي تلك المقابلة منح أحمد القرمانلي إيتون رتبة (مُشير) GENERAL وهي الرتبة التي اعتَرَفَت بها شرفياً فيما بعد الحكومة الأمريكية وظل يحملها إيتون لآخر عمره، وفي تلك الجلسة أيضاً اتفق الرجلان على أن يتوجهوا بجيش يعبر الصحراء لاحتلال درنة ثاني أكبر المدن في الولاية ومنها يتم الزحف نحو طرابلس ([٦٣]) .

عمل أحمد القرمانلي على حشد أنصاره في المنفى وعدد من المرتزقة من أحد عشر جنسية مختلفة وصل عددهم ثلاثمائة خيال من العرب وسبعين أوروبياً ووكيل بحار وضابط واحد وسبعة قناصين بحريين أي ما مجموعه ثلاثمائة وتسعة وسبعين رجل فقط رافقهم مائة وسبعة جمال لحمل تجهيزاتهم، وأرسل احمد بك إلى قائد الأسطول الأمريكي برسالة طلب فيها تزويده بمائة قطعة سلاح ومدفعين صغيرين ومائة بحار وقناص يلتحقون به عند وصوله درنة،وكان الملازم إيتون اتفق مع أحمد بك على تسديد ما قدمته بلاده من أموال بلغت زهاء عشرين ألف دولار عن طريق رهن الجزية التي تتقاضاها ولاية طرابلس من كل من السويد والدانمارك وجمهورية بتافيا بعد أن يتم له النصر([٦٤]) .

توجه أحمد بك القرمانلي والملازم أوبانن على رأس الجيش نحو درنة وقدمت سفن الأسطول البحري الأمريكي لأتباع احمد القرمانلي المؤن والبارود والسلاح بعد أنزالها في مرفأ

جزيرة البمبة الواقعة على مسافة نحو ستين كيلو متر شرق مدينة درنة الساحلية ([٦٥]) في وقت كان الملازم إيتون بأمس الحاجة إلى تلك المؤن للسيطرة على الجيش الخليط من أجناس مختلفة والذي دبت فيه عدد من حالات التمرد والعصيان خلال الطريق الصحراوي المقفر، ومن البمبة واصل الجيش زحفه نحو مدينة درنة التي ما إن وصلوها حتى قام الملازم أوبانن بتقسيم الجيش إلى طابورين الأول بقيادة احمد بك والثاني بقيادة الملازم أوبانن الذي التحق به مائة جندي من رجال البحرية الأمريكية، وفي ٢٤ نيسان ١٨٠٥م ابتدأ الهجوم على مدينة درنة وقامت ثلاث سفن أمريكية بقصف المدينة وأسكتت المدفعية فيها، بعد ذلك أمر إيتون بفتح نار البنادق على المدافعين عن المدينة من جيش الوالي الذين لم يتمكنوا من الصمود بسبب تخاذل غالبية سكانها الذين اظهر قسم منهم ولائهم لأحمد بك والقسم الأخر هرب مما اضطر جيش الوالي للانسحاب من درنة بعد زهاء الساعة والنصف،ودخلتها القوة المهاجمة وقام أوبانن برفع العلم الأمريكي على قلعتها وعمل على تأمين الاستحكامات في المدينة وتقوية أسوارها، وأخذ يستلم التعزيزات من الأسطول الأمريكي الذي كان راسيا أمام الميناء ([٦٦]).

بعد انسحاب جيش الوالي إلى طرابلس قام الوالي يوسف باشا بإعادة تنظيمه وتجهيزه بسرعة وأمره بالتوجه لتحرير درنة بإمرة قائد جيش الأيالة حسن بك الذي وصلها في ١٣ أيار ١٨٠٥م، وفرض عليها الحصار المشدد بدءً من ٢٨ أيار وباشر الجيش بمهاجمة المدينة إلا أنه باء بالفشل بسبب مساندة مدفعية السفن الأمريكية للقوة المتحصنة داخل المدينة والتي لم تتمكن من مغادرتها لمطاردة جيش الوالي يوسف باشا الذي واصل هجماته عليها بين الحين والأخر، فخروج تلك القوات من المدينة المحصنة ومطاردة جيش الأيالة إلى مناطق خارج مديات المدفعية في السفن وفي المدينة كان سيؤدي في الغالب إلى هزيمة محققة لذلك حافظت على مواقعها داخل المدينة التي لم تتمكن قوات يوسف باشا من اختراقها، مما اضطر الوالي يوسف باشا للدخول في مفاوضات جديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة عدد من قناصل الدول الأوربية ([٦٧]) والذين وجدوا بعض اللين في مواقف الوالي بعد معارك درنة ([٦٨]) .

في صباح يوم١٠حزيران ١٨٠٥م كان أحمد بك وجيشه يقاتلون لوحدهم جيش الوالي وأبلوا البلاء الحسن طيلة ساعات عدة ولم يشترك معهم أي جندي أمريكي إذ لم يكن يعلم بأن الملازم إيتون في ذلك اليوم قد تم إبلاغه عن طريق رسالة بعث بها قائد الأسطول الأمريكي (الكومودور بارون) بأن المفاوضات جارية بين حكومة بلاده وبين الوالي يوسف باشا لإنهاء الحرب وقد تم فعلاً إطلاق سراح الأسرى الأمريكان و في حالة إتمام الأمر وتوقيع معاهدة الصلح فأن كل تعاون مع أحمد بك يجب أن يتوقف وأن الاتفاقية المعقودة معه تعد لاغية من أساسها ([٦٩]).

جرت المفاوضات بين الطرفين بسلاسة وانتهت بالاتفاق على إيقاف الحرب بينهما والتوقيع على معاهدة سلام في ٤ حزيران ١٨٠٥م ([٧٠]) تضمنت عشرين بندا نص البند الأول فيها على تمتع الرعايا الأمريكيين بأفضلية على رعايا الدول الأجنبية الأخرى داخل الأيالة، ونصت المادة الثانية على قيام حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بدفع تعويضات مالية قدرها ستين ألف دولار لقاء إطلاق سراح أسراها، أما المواد الأخرى فقد نصت على تنظيم العلاقة بينهما في مجالات التعاون على صعيد الرحلات البحرية لسفن كلا الجانبين، واللجوء إلى الطرق السلمية بدلا عن الحرب لحل المشاكل التي قد تنشأ بينهما لاحقا ([٧١]).

أما أحمد بك فلعله قد تجرع كأساً من المرارة لم يكن يحسب له أي حساب فبينما كان يقاتل بحماس لاسترجاع عرشه على الولاية وقطع في سبيل ذلك الشوط الطويل من المسير عبر الصحراء والقتال العنيف ليصدم عند عودته من معركته الأخيرة يوم ١٠ حزيران بموقف الحكومة الأمريكية بسحب كل تمويل عنه وإلغاء كل اتفاق أبرم معها، ويبدو أنه أيقن في وقت متأخر أن تلك الدولة قد استخدمته كورقة ضغط ضد شقيقه والي طرابلس ليس أكثر فمتى ما حققت هدفها تخلت عنه وكان عليه أن يفطن لذلك عندما رفع الملازم أوبانن علم بلاده على أسوار درنة في إشارة لاحتلالها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية،ولو كان يعلم ما يكنه قائد الأسطول الأمريكي له لما كان تورط في تلك الحملة إذ جاء في رسالته إلى الملازم أوبانن التي استلمها يوم ١٠حزيران وصف لأحمد بك بأنه (أبله) وعد ذلك نقيصة مثلت حجر عثرة في سبيل تحقيق قضيته واستعادة عرشه المسلوب، و بعد أن انسحب الأسطول البحري الأمريكي

أخذ معه أحمد بك وقلة ممن أختارهم تراوح عددهم قرابة خمسة عشر رجل فقط وترك الباقين من أفراد جيشه على الشاطئ يقذفونهم بالسباب والشتيمة،وكانت معاناة أحمد بك أكثر قساوة بعد أن قرر قائد الأسطول الأمريكي صرف مائتي دولار شهرياً كأجور خدمة على سفن الأسطول له ولمرافقيه والذي كان يوزعها بينهم ويبقى له منها خمسة وأربعين دولار فقط ، وانقطعت عنه كل معونة أمريكية حال نزوله الأراضي المصرية ([٧٢]).

إن خروج أيالة طرابلس من الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية بتلك الطريقة عدته الأيالة نصرا كبيرا لها و لقوة إرادة واليها وأهلها لتنطلق بعدها لإعادة بناء أسطولها ليكون خلال عشر سنين تلت الحرب القوة الحقيقية المسيطرة على البحر الأبيض المتوسط ، إذ كانت سفن الأسطول الطرابلسي ترجع دائما إلى الميناء وهي محملة بالغنائم التي كانت تحصل عليها من السفن المبحرة في عرض البحر ([٧٣])، وانعكس ذلك على سكان طرابلس الذين اتسمت حياتهم بنوع من الترف الاقتصادي والانفتاح على الحضارة الأوربية وشاعت بينهم روح التسامح مع الأجانب المقيمين في ولايتهم والذين أخذت أعدادهم بالتزايد فكان منهم التاجر والطبيب والساعاتي وصانع المراكب وشهد النشاط التجاري خلال تلك السنوات ازدهاراً باهراً ([٧٤]) .

لقد كانت نشاطات الأسطول الحربي الطرابلسي تمتد إلى أبعد من حدود مصالح الولاية إذ كان بالأساس جزء مهم من أسطول الإمبراطورية العثمانية وعُد عامل قوة إضافية لذلك الأسطول الكبير إذ شاركت أعداد من سفنه في حروب العثمانيين ضد أعدائهم من بينها الحرب ضد اليونان بين عامي ١٨٢٥-١٨٢٧م ([٧٥]).

حملات الجيش الطرابلسي ضد حركات التمرد الداخلية:

برزت قوة الجيش الطرابلسي أثناء الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية وأثبت مقدرته على القتال في معارك استخدمت فيه القوات البرية والبحرية على السواء، إلا أن ذلك لم يمنع البعض من زعماء القبائل لمواجهة جيش الأيالة من بينهم الشيخ أحمد سيف النصر ([٧٦]) الذي غزا مناطق فزان وسرت وبرقة بين عامي ١٨٠٦-١٨٠٧م، فأرسل الوالي يوسف باشا جيشاً بقيادة ولده محمد بك والذي تمكن من قتل الشيخ أحمد سيف النصر وتشتيت أنصاره داخل الأيالة وهرب البعض منهم إلى تونس([٧٧])، وخلال عامي ١٨١٠ و١٨١١م قام زعماء القبائل في فزان بالتمرد على الوالي يوسف باشا ورفضوا دفع الضرائب فجهز الوالي حملة عسكرية بقيادة ولده علي بك الذي تمكن من إخضاع الإقليم،إلا أن أولئك الزعماء عادوا إلى تمردهم عام ١٨١٢م عندها أرسل الوالي جيشاً بقيادة وزيره محمد المكني الذي أخضع

إقليم فزان للحكم العسكري بعد أن قضى على قادة التمرد وأسر قرابة ألف وثمانمائة من المتمردين ليتم بعد ذلك ربط الإقليم بحكم الولاية المباشر لغاية عام ١٨٣٠م([٧٨]) .

وشهدت الأيالة عدد من الحملات العسكرية ضد المدن التي حدثت فيها اضطرابات منها مدينة نالوت عام ١٨١٥م ([٧٩])، وكذلك حملة عام ١٨١٧م بقيادة ابن الوالي أحمد بك ضد حاكم إقليم برقة محمد بك وهو الابن الأكبر للوالي الذي حاول الخروج على سلطة أبيه وانتهى الأمر بدون قتال، وكذلك حملة عام ١٨٢٦–١٨٢٧م لإخماد تمرد وقع في ترهونة([٨٠]).

أخذت قوة الأسطول الطرابلسي بالتراجع بعد أن تم تحجيمها على أثر احتلال الجزائر من قبل فرنسا عام ١٨٣٠م والتي سيطر أسطولها على سواحل شمال أفريقيا بضمنها سواحل الأيالة وذلك بموجب معاهدة تم توقيعها بين الوالي يوسف باشا القرمانلي والحكومة الفرنسية في ١١ أب ١٨٣٠ ([٨١])، ومثلما كان الفضل يعود ليوسف باشا في بناء الأسطول الطرابلسي وتنامي قوته، كان من سخرية القدر أن تتم عملية تحجيمه وأفول نجمه على يده كذلك، وكان الوالي خلال السنتين الأخيرتين من حكمه في أضعف حالاته وشهدت الأيالة تدهور اقتصادي وعسكري سريع زاد في تفاقمه تزايد الخلافات بين أبناء الوالي وانصراف الجند عن تأدية واجباتهم بخاصة بعد تنازل يوسف باشا عن الحكم لصالح ابنه علي بك عام ١٨٣٢م، الذي اضطربت في عهده الأوضاع الداخلية مما اضطر الدولة العثمانية إلى إرسال أسطولها البحري الذي وصل طرابلس في أيار ١٨٣٥م وأنزل قرابة ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة الوالي الجديد مصطفى نجيب باشا الذي أعلن إنهاء حكم العائلة القرمانلية في أيالة طرابلس وإخضاعها للحكم العثماني المباشر([٨٢]).

الخاتمة :

من دراستنا لتأريخ ولاية طرابلس الغرب خلال فترة حكم الأسرة القرمانلية (١٧١١–١٨٣٥م) يتضح لنا مدى أهميتها كونها حوت أحداث هامة مرت بها الولاية التي لم يكن لها من مقومات اقتصادية إلا طرق مواصلات وموانئ كانت تربط ما بين أوروبا وإفريقيا،وكانت الجغرافية عامل مباشر في صياغة تاريخها فأراضيها الصحراوية الشاسعة وطبيعة مناخها الحار قد أثرت على أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية من حيث قلة مواردها الطبيعية وعدد سكانها الذين انعكست عليهم ظروف تلك المعيشة بكل قسوتها، لذلك امتهن البعض من سكانها العمل في سفن الولايات القريبة كتونس والجزائر التي كانت مخصصة للتجارة أو للقرصنة البحرية.

عندما تمكن أحمد باشا القرمانلي من ترسيخ حكمه في الولاية استطاع أن يستثمر الإمكانات البشرية في الولاية بالشكل الذي مكنه من تنمية مواردها الاقتصادية وبناء قوة بحرية امتد نفوذها في البحر الأبيض المتوسط وذلك بالاعتماد على رجال الولاية الأشداء الذين كان البعض منهم يمتهن العمل في البحر، وتمكن أسطوله على تواضع عدد سفنه في بداية الأمر من أن يفرض سيطرته على السفن الأجنبية ويرغمها على دفع الإتاوة للولاية بموجب معاهدات حماية مع عدد من دول أوروبا ويشارك وبفاعلية بالعمليات الحربية لأسطول الدولة العثمانية .

بعد تخلي أحمد باشا عن الحكم لصالح ولده علي باشا مرت الولاية بحالة من الضعف تراجعت خلالها مكانتها العسكرية، إلا أنها استعادتها باستلام الوالي يوسف باشا القرمانلي الحكم بع والده أحمد باشا والذي كان يتمتع بمواصفات شبيهه بالتي كانت عند جده إذ تمكن من بسط نفوذه على كامل أراضي الولاية التي أصبحت في عهده أيالة عاشت في عهده أهم حدث بحري في تاريخها ألا وهو الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية (١٨٠١–١٨٠٥م) التي أثبتت فيها أيالة طرابلس الغرب على رغم تواضع حجمها السياسي والاقتصادي والعسكري أنها كانت تمتلك إرادة توازي إرادة دولة كبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية وتحقق عليها نصراً حقيقياً بكل المقاييس بعد أن كبدتها خسائر جسيمة في عدد من سفنها الحربية عالية القدرة القتالية في مواجهات مع مراكب بحرية صغيرة محدودة التسليح ،وعندما انتهت زعامة الوالي يوسف باشا وتولي ابنه علي بك أمر الولاية والذي عرف عنه ضعفه

وفشله في إدارتها انتهت قوة الأيالة وأفل نجمها وعادت تعاني من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي انتهى عهد الأسرة القرمانلية عام ١٨٣٥م لتعود إلى الحكم العثماني المباشر الثاني .

هوامش البحث:

١- محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث ، دمشق ، د. ت. ، ص ١٦٧.

٢- الإنكشارية : بمشورة من الوزير الأول خيرالدين باشا أمر السلطان العثماني أورخان الأول بأخذ الشبان الصغار من أسرى الحروب وفصلهم عن كل ما يذكرهم بأصلهم وبجنسهم، وأمر بتربيتهم تربية إسلامية عثمانية لا يعرفون بعدها أباً إلا السلطان ولا مهنة إلا الجهاد في سبيل الله، و عندما أخذ السلطان الدفعة الأولى منهم إلى شيخ الطريقة البكتاشية ليدعوا لهم بالخير أطلق عليهم تسمية (يني تشاري) أي الجيش الجديد ثم حرف في العربية فصار انكشاري . محمد فريد بك المحامي،، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، بيروت، ط١١، ٢٠٠٩، ص ١٢٣.

٣- أحمد يوسف مصطفى القرمانلي (١٧١١- ١٧٤٥ م) : من مواليد مدينة طرابلس، ويرجع أصل أسرته إلى مدينة (قرمان) في الأناضول، كان جده مصطفى قد قدم إلى طرابلس وأستقر فيها، ثم تزوج من إحدى نسائها فأنجبت له عدد من الأبناء، اتبع سياسة حازمة في بناء قوة اقتصادية وعسكرية لطرابلس، تنازل عن الحكم لولده محمد بعد أن أصيب بالعمى، الأمر الذي دفعه إلى الانتحار برصاصة من مسدسه في ٤ تشرين الثاني ١٧٤٥ . عمر علي بن إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا ١٧٩٥-١٨٣٥، طرابلس،١٩٦٦، ص ٣٢ .

٤- أحمد صدقي الدجاني، أحاديث عن تأريخ ليبيا في القرنين ١٨-١٩، طرابلس، ١٩٦٨، ص ٢٤-٢٥ .

٥- السلطان أحمد خان الثالث (١٦٧٣-١٧٣٦م) : ولد في ٢٣ كانون الأول ١٦٧٣م أبوه السلطان محمد الرابع، استلم أمور السلطنة بعد قيام الانكشارية بعزل أخيه السلطان مصطفى الثاني في ١٥ آب ١٧٠٣م، في عهده خاضت السلطنة حرباً ضد السويد عام ١٧٠٩م وضد روسيا عام ١٧١١ وعام ١٧١٣م، وضد النمسا عام ١٧١٧م وغيرها من الحروب، في عهده دخلت المطابع إلى الدولة العثمانية وتم تأسيس دار للطباعة في الأستانة، تنازل عن الحكم في أعقاب ثورة قام بها الانكشارية بزعامة (بترونا خليل) في ٢٨ أيلول ١٧٣٠م، توفي عام ١٧٣٧م . محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٣١٢-٣١٩.

٦- بكلربكي : وتعني أمير الأمراء أو بك البكوات وكان حامل هذا اللقب يعد الشخص الثاني بعد السلطان ،لأنه يحمل الأعباء العسكرية، وهو مقتبس من السلاجقة، وكان محصور في العائلة العثمانية الحاكمة في بادئ الأمر، وبعد توسع العثمانيين في الروملي وزعت هذه المهمة بين شخصين بعد أن تم تقسيم أملاك الدولة العثمانية إلى بكلربكية الأناضول بكلربكية الروملي ،بعد ذلك تعددت مناصب أمير الأمراء وحملها أشخاص من خارج العائلة المالكة وأرسلوا إلى الولايات على أنهم حكام للولايات وقادة لجيوشها وتمتعوا بامتيازات كاملة في ولاياتهم . - محمود علي عامر، المصدر السابق، ١٦٧.

٧- عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ١٧٩٥-١٨٣٥م،طرابلس ،ط١,١٩٦٦، ص ٣٧.

٨- أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١،ترجمة خليفة التليسي، بيروت،١٩٧٤،ص ٢٧٢.

٩- ن . أ. بروشين، تأريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن السادس عشر - مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد حاتم، طرابلس، ١٩٩١، ص ١١٤- ١٢٧.

١٠- أحمد بك النائب، المنهل العذب في طرابلس الغرب، طرابلس، د. ت.، ج ٢، ٢٨٧.

١١-كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة عبد ا لقادر مصطفى المحيشي، طرابلس ،ط١، ١٩٨٨،ص ٣٠-٣١.

١٢- قام الوالي القرمنلي يوسف باشا (١٧٩٦-١٨٣٢م) باستحداث منصب كبير الوزراء ووزير الخارجية ومنصب وزير المالية بدلاً عن منصب الخازندار الكبير والصغير . عمر علي إسماعيل، المصدر السابق، ص .١٦٤

١٣- أتوري روسي، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

١٤- عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص .١٦٤

١٥- أتوري روسي، المصدر السابق، ص .٣٠١

١٦- إنعام محمد سالم، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاقتصادي والاجتماعي دراسة في مؤسسات المدينة التجارية ١٧١١-١٨٣٥م، طرابلس، ط١، ١٩٩٨، ص ٣٠٢-٣٠٣.

١٧- رودولفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ترجمة طه فوزي ،القاهرة،١٩٦١ ،ص ٢٨- .٢٩

١٨- إنعام محمد سالم، المصدر السابق، ص .١٠٠

١٩- فرانسيسكو كورو ،ليبيا أثناء العصر العثماني الثاني ، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس، ١٩٧١، ص ٨٦- ١٠٥.

٢٠- علي محمد عبداللطيف، تمبكتو أسطورة التاريخ ،طرابلس، ط١، ٢٠٠١،ص ٣٠.

٢١-كولا فوليان، المصدر السابق ،ص ٥٦- ٦٩.

٢٢- ن . أ. بروشين، تأريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن السادس عشر - مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد حاتم، طرابلس، ١٩٩١، ص ١١٤- .١٢٧

٢٣- القول أوغلية : تتألف الكلمة من مقطعين الأول (قول) وتعني العبد والثانية (أوغلي) وتعني ابن و بذلك فان(القول أوغلي) تعني ابن العبد، وهو لقب أطلق على أبناء الانكشارية من زوجاتهم العربيات أو البربريات في ليبيا وتونس والجزائر . محمود علي عامر، المصدر السابق ،ص ١٨٤.

٢٤- ريتشارد توللي ،عشر في بلاط طرابلس ،ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، طرابلس ،د. ت.، ص ١٠٢.

٢٥- خليفة محمد الذويبي ،الأوضاع العسكرية في طرابلس الغرب قبيل الاحتلال الايطالي ١٨٨١-١٩١١مو طرابلس، ط١، ١٩٩٩، ص.٦٢

٢٦- أحمد صدقي الدجاني، أحاديث عن تأريخ ليبيا في القرنين ١٨-١٩، طرابلس ،١٩٦٨ ،ص ٢٤-٢٥ .

٢٧- نجم الدين غالب الكيب، مدينة طرابلس عبر التاريخ، تونس ،١٩٧٨، ص.٢٩

٢٨- محمد باشا القرمانلي (١٧٠٩- ١٧٥٤م) :ولد في طرابلس في عام ١٧٠٩م، وعاش في كنف والده أحمد باشا، بعد انتخابه من قبل علماء المسلمين وديوان الولاية، وعملا بوصية أبيه ،عمل على بناء طرابلس اقتصاديا، وتعزيز دورها الإقليمي، وقد واجه وأفشل العديد من المؤامرات الداخلية الرامية للإطاحة به، توفي في يوم ٢٤ تموز ١٧٥٤ م، بسبب إدمانه على الخمر . رودولفو ميكاكي، المصدر السابق ،ص ٨٤- ٨٨ .

٢٩- علي سلطان ،تأريخ العرب الحديث ١٥١٦- ١٩١٨، طرابلس، ط١، ١٩٩٧،ص ٢٢٦.

٣٠- شارل فيرو ،المصدر السابق، ص ٣١٧ .

٣١- علي باشا القرمانلي (١٧٥٤- ١٧٩٦م) : خلف علي باشا والده محمد باشا في ولاية طرابلس دون أية معارضة في ٢٥ تموز ١٧٥٤م بدعم من الانكشارية الذين ما لبثوا وأن

التفوا عليه بسبب ضعف إرادته، شهدت الولاية في عهده القحط الشديد وانتشار مرض الطاعون في السنوات الأولى لحكمه، تم إقصائه عن الحكم على يد رئيس البحرية الجزائرية علي الجزائرلي ،الذي طرده من طرابلس في عام ١٧٩٣م، توفي علي باشا في طرابلس في ٢٣تموز١٧٩٦م، بعد عودته إليها اثر طرد الجزائلي من طرابلس .– أتوري روسي، المصدر السابق، ص ٣٦٩–٣٧٠ .

٣٢– عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص٤٧– ٤٩ .

٣٣– المصدر نفسه، ص ٥٥ .

٣٤– علي الجزائرلي: أو علي برغل أو علي الطرابلسي وهو من أصل يوناني شغل منصب رئيس البحرية الجزائرية، اضطر داي الجزائر إلى طرده بسبب ثورة الجزائريين على تصرفاته المشينة معهم ومغالاته في جمع الضرائب، توجه بعد ذلك هو وأنصاره نحو طرابلس وطرد واليها علي باشا، حكم طرابلس بالقوة العسكرية، وبعد طرده منها توجه إلى الأستانة لطلب الصفح والرضا فعينه السلطان سليم الثالث واليا على مصر عام ١٨٠٣م، ثم قتل فيها بعد فترة على يد المماليك . – عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص ٥٦ .

٣٥– عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة ،مطبعة بولاق، جزأين، د. ت. ،ج ٢، ص ٢٥٨ .

٣٦– السلطان سليم خان الثالث (١٧٦٢– ١٨٠٨م): السلطان الثامن والعشرين للدولة العثمانية،ولد عام ١٧٦٢م والده السلطان مصطفى الثالث ،تولى الحكم عام ١٧٨٩م وكانت دولته تعاني من الحروب التي أفقدتها معظم أملاكها في البلقان على يد النمسا وروسيا ،وما لبث السلطان وأن استعاد تلك الأراضي بموجب معاهدة صلح مع روسيا والنمسا،أهتم بعدها بإصلاح الدولة عسكريا، وفي عهده دخل الفرنسيين مصر عام ١٧٩٨م ،تم عزله عن الحكم في ٢٨ حزيران ١٨٠٨م بعد ثورة للجنود الغير نظاميين

التي كان محركها مفتي الدولة . محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٣٦٣–٣٩٣.

٣٧– عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا ،ترجمة عبد السلام أدهم ،بيروت، دار لبنان للطباعة، ثلاثة أجزاء، د.ت.، ج ١ ،ص ٢٣٤–.٢٣٥

٣٨– رودولفو ميكاكي، المصدر السابق، ص .١٣٠

٣٩– محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق ،ص ٣٧٠– .٣٧١

٤٠– عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص ٣٨٨.

٤١–كولا فولايان، المصدر السابق، ص ٤٣..

٤٢– المصدر نفسه، ص ٤٥– ٤٦ .

٤٣– إسماعيل كمالي، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي، ترجمة محمد مصطفى بازامة، بنغازي، ١٩٦٥، ص ٤٧.

٤٤– نابليون بونابرت (١٧٦٩– ١٨٢١م) : ولد في أجاكسيو في ١٥ أب عام ١٨٦٩م، وهي من أعمال جزيرة كورسيكا، دخل نابليون في مدرسة باريس الحربية وتخرج فيها برتبة ملازم ثاني في عام ١٧٨٧م، لينخرط في سلاح المدفعية،قاد عدة حملات عسكرية في أوروبا، كما قاد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، في عام ١٧٩١م اختير قنصلا أولا لفرنسا بعد انقلاب برومير، ثم أصبح إمبراطورا لفرنسا عام ١٨٠٤م، تنازل عن العرش بعد سقوط باريس في ١٣ آذار ١٨١٤م ،نفي بعدها إلى جزيرة ألبا، ثم هرب منها سرا في ٢٦ شباط ١٨١٥م، وعاد سرا إلى باريس ليحكم فرنسا لمائة يوم فقط، ليهزم جيشه ثانية في معركة واترلو في ١٨ حزيران ١٨١٥م ،ولينفى إلى جزيرة سانت هيلانة،والتي توفي فيها في عام ١٨٢٠م . ينظر :ألياس أبو شبكة ،تاريخ نابليون بونابرت١٧٦٩–١٨٢١، بيروت،ط٣ ،.٢٠٠٥

٤٥– عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص ١٧٠– ١٧١.

٤٦– نظام شرابي، أمريكا والعرب ،لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٠ ،ص ٣٣– ٣٤ .

٤٧– جلين تكر ،معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي في القرن التاسع عشر، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، طرابلس، ١٩٦٧، ص.٢٠٤

٤٨– أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، المصدر السابق، ص ٣٢٠ .

٤٩– جلين تكر، المصدر السابق، ص ٢١٨– .٢٢٠

٥٠– منصور عمر الشتيوي، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة الأمريكية، طرابلس، مؤسسة الفرجاني، ط ١ ،١٩٧٠، ص ١٤٢–١٤٣ .

٥١– جلين تكر، المصدر السابق، ص ٢٢٣– ٢٢٩.

٥٢– نجم الدين الغالب الكيب، المصدر السابق ،ص ١١٢..

٥٣– جلين تكر، المصدر السابق ،ص .٢٣٥

٥٤– المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

٥٥– شارل فيرو، المصدر السابق، ص ٣٨٧

٥٦– جلين تكر، المصدر السابق، ص ٤١٣.

٥٧– رودولفو ميكاكي ،المصدر السابق، ص ١٥٨–١٥٩ .

٥٨– كولا فولايان، المصدر السابق، ص ٤٦ .

٥٩– جلين تكر، المصدر السابق، ص ٤٣٠– ٤٣١.

٦٠– نجم الدين غالب الكيب، مصدر سابق، ص ٢٥ .

٦١- محمد عبد الله الهادي أبو عجيلة، التنافس الانجليزي الفرنسي حول ليبيا في عهد يوسف باشا القرمانلي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ،مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، ١٩٣٣، ص ٢٨٩٠- ٢٩ .

٦٢- نجم الدين غالب الكيب، المصدر السابق ،ص .١١٢

٦٣- جلين تكر، المصدر السابق، ص ٥٣٩- .٥٤٤

٦٤- المصدر نفسه، ص ٥٥٨٥٥٩.

٦٥- شارل فيرو، المصدر السابق، ص .٣٨٨

٦٦- جلين تكر، المصدر السابق ص ٥٩٨- ٥٩٩ و ص٦٠٦-.٦١١

٦٧- المصدر نفسه ، ص .٦٣٠

٦٨- منصور عمر الشتيوي، المصدر السابق، ص ٢٤٧-٢٥٥ .

٦٩- جلين تكر، المصدر السابق، ص .٦٢٥

٧٠- أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، المصدر السابق، ص ٣٢٧ .

٧١- عبد الله خليفة الخباط، المصدر السابق، ص ٧٢ .

٧٢- جلين تكر، المصدر السابق، ص ٦٢٥- ٦٢٧ ، ص ٦٦٦ .

٧٣- عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص ٤٤٦ .

٧٤- أحمد محمد عاشور، لمحات تاريخية من النضال الليبي المسلح ضد غزوات الأسبان وفرسان مالطا والأمريكان والطليان (١٥١٠-١٩٧٠)، طرابلس، ط ١ ،١٩٨٥ ،ص ٩٨ – ١٠٨ .

٧٥- عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص .٣١٠

٧٦– الشيخ أحمد سيف النصر: من ولد نصر بن زايد بن سليمان بن وهب بن رافع بن ذياب، من بني سليم واشتهرت قبيلتهم بأولاد سليمان، وكانت ولا تزال زعامة القبيلة في بيت آل نصر . الطاهر أحمد الزاوي ،أعلام ليبيا، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤، ص ١١١.

٧٧– أتوري روسي، المصدر السابق، ص .١٥٤

٧٨– عمرو سعيد يغني، أبحاث في تاريخ ليبيا الحديث، طرابلس، ١٩٩٦، ص ٢٣–٣٣.

٧٩– المصدر نفسه، ص .٣٣

٨٠– أتوري روسي، المصدر السابق، ص .٣٢٣

٨١– إسماعيل أحمد ياغي و محمود شاكر ،تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الرياض،، ١٩٩٨،ج ٢، ص ٧٢ .

٨٢– أتوري روسي، المصدر السابق، ٣٤٢–٣٤٩.